مجلة حيدر آباد

ISSN No:

مجلة عربية إلكترونية فصلية بحثية محكمة

قسم دراسات العرب

جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند

المكتبات في الأندلس في العصر العباسي

أحمد رضا[1]

المقدمة

تعد المكتبة من المعالم الرئيسية الدالة على ثقافة الشعوب والأمم وهي من أهم دعائم الحضارةوالثقافة تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وتنظيمها وإتاحتها للجميع، كما أنها تعطي صورة صادقة لمدى اهتمام الأمم والشعوب بالفكر والعلم، مما يجعلها من أهم مقاييس التقدم والرقى. وقد تطورت المكتبات وتنوعت على مدار الأيام والعصور، بفضل تطور وسائل حفظ وتثبيت النصوص وتبادلها، وقد ازدهرت في بعض الفترات واندثرت في فترات أخرى، ولم تقتصر الآن هذه المكتبات على الكتب الورقية بل أصبحت هناك الخدمات الإلكترونية التي يمكن من خلالها الحصول على المعلومات في آن واحد تحت تنظيم من مسؤولي المكتبة. وفي هذه المقالة الوجيزة اتناول المكتبات –بأنواعها المختلفة – التي وجدت في البلدان المجاورة للعراق مثل مصر والشام في العصر العباسي وخاصة في الأندلس.

الكمات المفتاحية: المكتبة، الكنز، الكتاب، العلم، الثقافة، العصر العباسي، الأندلس.

نظرة عامة حول المكتبات في الحضارة الإسلامية

في صدر الإسلام، كان بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أول مكتبة تضم أول كتاب (القرآن الكريم) وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم الكتابة على نطاق أوسع. من أشهر هؤلاء الكتاب من المهاجرين والأنصار الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وأرقم بن أبي، وشرحبيل بن حسنة، عبد الله بن رواحة، عمرو بن العاص ...وغيرهم.

ثم بدأت حركة التأليف منذ منتصف القرن الأول الهجري، وشهد القرن الثاني ظهور الكتب والدواوين مما أسهم في تطور حركة تدوين التراث والتاريخ. وبعد إقامة صناعة الورق في بغداد ابتداء من عصر الرشيد وظهور جماعة الوراقين، عرف العرب نقلة نوعية في مجال التدوين والكتابة وظهور المكتبات.

[1] الباحث بقسم الدراسات العربية ، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد
iahmadraza11@gmail.com

يعد العباسيون هم أول من أنشأ المكتبات بالمعنى الحقيقي حيث كان كثيرا من خلفاء الدولة العباسية شغوفين بالدراسة والعلم، وكان لهم اهتمامات كبيرة بجميع المؤلفات القديمة والمعاصرة وترجمتها، وكان أبي جعفر المنصور هو أول من توسع في نشر الثقافة الإغريقية. وقد كان من الطبيعي أن ينبع عن كل خطوة من خطوات هذه العملية جمع الكتب والمؤلفات وتكوين المكتبات صغيرة وكبيرة.

أنواع المكتبات

وقد عرفت الحضارة الإسلامية أنواعاً متعددة من المكتبات ولقد انتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء وفي المدارس والكتاتيب والجوامع، وكما وجدت في عواصم الإمارات وجدت كذلك في القرى النائية، والأماكن البعيدة منها: **المكتبات الأكاديمية**، وهي من أشهر المكتبات في الحضارة الإسلامية؛ ومن أهمها مكتبة بغداد "**بيت الحكمة**" أسسها هارون الرشيد[1] و"**مكتبة دار الحكمة** "في القاهرة الفاطمية أسسها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام 1004م/395هـ، وفرشت هذه المكتبة بأنواع السجاد الفاخر وعلق على جميع أبوابها وممراتها الستائر وجعل فيها الخدم. وتذكر المصادر أنها حوت 1,600,000 مجلد ضمت (6500) مخطوطة في الرياضيات و (18,000) مخطوطة في الفلسفة وكان الدخول إليها والاستنساخ والترجمة مجانا [2]. وذكر المقريزي أنه كان في قصور الفاطميين أربعون خزانة، منها خزانة تحتوي على 80,000 مجلد في العلوم القديمة[3] .

ثم **المكتبات الخاصة** وقد انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع وجيد ومن أمثلتها **مكتبة الخليفة المستنصر**[4]، **ومكتبة الفتح بن خاقان**، الذي كان يمشي والكتاب في كمه ينظر فيه [5]. ومكتبة ابن العميد وزير آل بويه الشهير، وقد ذكر ابن مسكويه المؤرخ الشهير أنه كان خازنا لمكتبة ابن العميد فذكر واقعة سرقة تعرّض لها بيته، وكانت فيه مكتبته، وقد حزن

---

[1] معروف الناجي، إصالة الحضارة العربية، بيروت 1969، ص: 429.

[2] منصور سرحان، المكتبات في العصور الإسلامية، ط 1، ص: 60، دار مخراوي، البحرين 1967م. محمد حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، ط 1، ص: 158، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1886.

[3] خطط المقريزي، ج 1، ص: 407، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج 3، ص: 344.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، 13/186.

[5] الذهبي، تاريخ الإسلام، 18/375.

ابن العميد أكثر الحزن على مكتبته، ظنا منه أنها سرقت مع باقي المسروقات [1]. وكانت مكتبة نوح بن نصر الساماني كما يقول ابن خلدون عديمة المثل فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلا عن معرفته[2].

وجدت كذلك **المكتبات العامة** التي كان من أشهرها مكتبة قرطبة التي أسسها الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله سنة (350هـ/961م)، أتناولها فيما بعد.

وأيضا مكتبة بني عمار في الشام، وكان لهم وكلاء يجوبون العالم بحثا عن الروائع لضمها إلى المكتبة، وكان بها خمسة وثمانون ناسخا، يشتغلون بها ليل نهار في نسخ الكتب[3].

كذلك أنشأ الخلفاء والولاة والعلماء **مكتبات المدارس و المساجد** تلك المدارس التي انتشرت في كل بقاع العالم الإسلامي، وقد ألحقت بمعظم المدارس مكتبات "خزائن كتب لتكون مرجعا لطلبة العلم ليقفوا على أخر ما صنف في فنون العلوم والآداب حتى عصرهم، وتسابق السلاطين والعلماء بل والمجتمع المدني من كبار التجار و المحسنين بل وحتى المحسنات من الأميرات والعالمات وغيرهن في إنشاء هذه المؤسسات، فنور الدين محمود بنى مدرسة في دمشق وألحق بها مكتبة، وكذلك فعل صلاح الدين، أما القاضي الفاضل وزير صلاح الدين فقد أسس مدرسة في القاهرة سماها الفاضلية، وأودع فيها حوالي مئتي ألف مجلد مما أخذه من خزائن الفاطميين.

واشتهر نوع آخر من أنواع المكتبات في الحضارة الإسلامية، تلك المكتبات التي أنشئت كملاحق في المساجد والجوامع ويعتبر هذا النوع من المكتبات الأول في الإسلام؛ حيث نشأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد وقبل إنشاء المدارس بقرنين على الأقل، ومن أمثلتها **مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير في القيروان**[4]. بل اشتهر المسجد النبوي بمكتبة عامة كبيرة كانت موقوفة على طلبة العلم من المجاورين، وكانت الفاجعة قد حلت بها سنة 886هـ، حين احترقت بسبب في

[1] ابن مسكويه، تجارب الأمم، 6/286.
[2] حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج 3، ص: 342. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص: 152-153.
[3] د. راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، 2/25، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2009.
[4] المصدر السابق.

نادرة من النوادر الطبيعية الغريبة [1]. وكذلك اشتهر الجامع الأموي بدمشق بخزانة كتبه الفريدة بل بعدة خزائن كتب "مكتبات"، كانت موقوفة على كل من يريد المطالعة والتعلم[2] .

المكتبات في الأندلس

لم يقتصر الاهتمام بالمكتبات على البلاد الإسلامية بالشرق بل اهتم الخلفاء كذلك بإنشاء المكتبات في بلاد الأندلس وكانت المكتبات الأندلسية توجد في القصور الملكية أو البيوت الخاصة أو ملحقة بالجوامع والمساجد والمدارس ومن ثم يمكن تقسيم تلك المكتبات إلى فئتين، الأولى منها مكتبات عامة: يتاح للجميع استخدامها والاستفادة منها مثل مكتبات الوقف ومكتبات المساجد والمدارس. أما الثانية فهي مكتبات خاصة: يعني يجمعها أفراد من الناس رغبة منهم في العلم مثل المكتبات الخلافية لدى الخلفاء والأمراء وكذلك مكتبات الأغنياء والعظماء. وفي السطور التالية أذكر بعض النماذج على سبيل المثال.

مكتبات الخلفاء

أراد الأمويون أن ينافسوا العباسيين في المشرق، فانتهجوا نهجهم واهتموا بنشر العلوم والثقافة وأسسوا مكتبات قيمة عديدة مثل مكتبة الأمير عبد الرحمن الأوسط[3] مكتبة الأمير محمد بن عبد الرحمن مكتبة الخليفة الناصر مكتبة المنصور بني عامر ومكتبة الخليفة الحكم مستنصر وصارت هذه المكتبة من أعظم مكتبة في العصر الوسيط في العالم[4]. هذه فقط بعض الأسماء من الكثير، وللاطلاع على المزيد راجع كتاب" المكتبات في الأندلس" للدكتور رضا سعيد على مقبل من الصفحة 92- 100.

المكتبات الخاصة

وهي التي أنشأها الأفراد لمصلحتهم و بأموالهم ووفقا لميولهم واتجاهاتهم العلمية وانتشر هذا النوع من المكتبات أيضا في الأندلس ومن أوائل المكتبات الشخصية مكتبة الفقيه عبد المالك بن حبيب

---

[1] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 9/515

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص: 61.

[3] د. رضا سعيد علي مقبل، المكتبات في الأندلس، ص: 92. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج 2، ص: 45.

[4] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص: 504، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 1، ص: 98.

السلمي، ومكتبه محمد بن حزم، ومكتبة ابن كيسان، ومكتبة ابن الفوضى [1].وأشهرها مكتبة القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس، قال عنه ابن بشكويه "أنه كان له ستة وراقين ينسخون دائما، وبلغ من كثرة كتبه أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتبه لمدة عام كامل في مسجده، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية [2].

المكتبات العامة

حظي الأندلس في مختلف عصوره بكثير من المكتبات العامة والتي ساهمت في نشر العلوم والثقافة وجعلها قطبا يرحل إليها الناس من جميع أقطاب الأرض. تقول المستشرقة هونكة: "أن حكام الأندلس أنشأوا في كل حي دارا للكتب وزودوها بمئات الألوف من الكتب التي جعلوها في متناول الجميع " [3]. وتجمع المصادر على أن عصر الخلافة (348هـ- 402هـ) هو أكثر العصور التي وجدت به مكتبات عامة، فقد وجد في هذا القرن الرابع الهجري في الأندلس الإسلامية سبعون مكتبة عامة [4]. والمكتبات العامة تشمل مكتبات الأوقاف ومكتبات المساجد والجوامع وغيرها.

وكان أهم تلك المكتبات وأشهرها مكتبة قرطبة التي أسسها الخليفة الأموي الحكم المستنصر ب الله سنة (350هـ/961م). هذه المكتبة عين لها موظفين للعناية بشؤونها، وجمع فيها النساخ، وعين لها عددًا كبيرًا من المجلِّدين، وقد ظلت محط أنظار العلماء وطلاب العلم في الأندلس، وقد وفد إليها الأوربيون للنهل من معينها، والتزود من علومها، وقد كانت عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعا وأربعين فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط [5] . وكانت تضم بين خزائنها أربعمائة ألف مجلد في وقت لم تعرف فيه الطباعة كما كانت تحتوي على أربعة وأربعين سجلا، كل منها يقع في خمسين ورقة [6].

---

[1] د. رضا سعيد علي مقبل، المكتبات في الأندلس، ص: 102-114.
[2] د. حامد شافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ص: 102، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
[3] هونتكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 500، و د. رضا سعيد علي مقبل، المكتبات في الأندلس، ص: 115.
[4] هيسيل، تاريخ المكتبات، ص: 54، محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، ط 3، بيروت: دار المعرفة، 1997م.
[5] ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، 1/190.
[6] حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج 3، ص: 345.

لقد سعت الغالبية العظمى من مسلمي الأندلس إلى مساندة ودعم مكتبات المساجد. وقد ذكر المؤرخ الإسباني خوليان ريبيرا أن ابن لب المالقي الذي عاش مدة طويلة في غرناطة أوصى بجزء كبير من مكتبته الخاصة إلى مكتبة الجامع الكبير بمدينة مالقة مسقط رأسه، كما قام العالم ابن مروان الباجي بإهداء كتبه كلها إلى الجامع الكبير بمدينة إشبيلية ولضمان المحافظة على كتبه فقد عهد بها إلى خطيب المسجد الشيخ عبد الرحمن اللخمي، الذي يبدو أنه كان موكلا بإدارة شؤون مكتبة الجامع وفاقت مكتبات الجوامع في الأندلس نظيرتها في المشرق الإسلامي، ويعد المسجد الكبير في قرطبة واحدا من أكبر الجوامع وأعظمها، وقد احتوى هذا المسجد الشهير الذي أنشأه الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل سنة (170هـ / 786م) على مجموعة كبيرة من الكتب والمصاحف والتي دمر معظمها إبان اجتياح قوات الملك فرديناند الثالث سنة (634هـ/1236م)، وقد أشار المؤرخ المقري إلى تلك الواقعة، ذاكرا بأنه كان من بين المصاحف التي أحرقت على يد القوات الغازية المصحف الذي خطه الخليفة عثمان بن عفان[1].

خلاصة القول

المكتبة هي خزائن دولة تدل على ثقافتها ورقيها وشغفها بالعلوم والفنون، وتزامن تطورها بتطور الكتابة وتدوين الكتب. ونجد المكتبات تحظى باهتمام الخلفاء والأمراء والعامة من الناس في العصور الإسلامية الأولى خاصة في الدولة العباسية وازداد عددها ارتفاعا يوما فيوما. ولم تكن الأندلس منعزلة عن هذه التطورات، فاهتم خلفاءها وأمراءها وشعبها اهتماما بالغا بالعناية بالكتب من حيث الكتابة والنقل والترجمة والنسخ وبناء المكتبات، حيث صارت الأندلس مرجعا للكثير من الورى ومركز النور والثقافة ومنبع العلوم والفنون ينهل من منهلها عدد من الناس لا يحصى ولا يعد.

المراجع والمصادر

1. حسن إبراهيم – تاريخ الإسلام – ج 2، دار الجيل، بيروت، 1996.

[1] المقري، نفح الطيب، ج 1، ص: 398، د. حامد شافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ص :100.

2. معروف الناجي – أصالة الحضارة العربية – بيروت، 1969.

3. منصور سرحان – المكتبات في العصور الإسلامية – ط 1 دار مخراوى البحرين 1967م.

4. محمد حمادة – المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها – ط 1مؤسسة الرسالة – بيروت – 1886م.

5. د. راغب السرجاني – ماذا قدم المسلمون للعالم – مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة 2009.

6. د. رضا سعيد علي مقبل – المكتبات في الأندلس – مجلة المكتبات الآن يناير 2006

7 دكتور حامد شافعي دياب – الكتب والمكتبات في الأندلس – ص: 102، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة).

العبارة الصوفية في ريعان الشباب

سطوت جنيد [1]

المقدمة

يعد التجاني يوسف بشير واحدا من أبرز الأصوات الشعرية في السودان والعالم العربي الحديث، إذ شكلت تجربته الشعرية نموذجا فريدا لتداخل المعاناة الوجودية مع الرؤيا الصوفية العميقة. فقد عاش الشاعر حياة قاسيةاتسمت بالفقر والتهميش، غير أن هذه الظروف لم تخمد صوته الإبداعي، بل أسهمت في تشكيل حساسيته الشعرية ورؤيته الكاشفة للوجود والإنسان. ومن هنا، تبلورت تجربته بوصفها تجربة شعرية ذات بعد مأساوي، انصهرت فيها الذات الفردية مع هموم الإنسان الكونية.

وتتجلى أهمية تجربة التجاني في قدرته على تحويل الألم إلى طاقة إبداعية، وعلى توظيف التصوف بوصفه أفقا معرفيا وجماليا يتجاوز به حدود الواقع المأزوم. فقد جاءت لغته الشعرية مشبعة بالإيحاء والرمز، قائمة على الانزياح والدلالة العميقة، بما يجعلها نصا مفتوحا على التأويل، ومجالا للكشف والرؤيا. كما أسهم في تجديد بنية القصيدة السودانية، ناقلا إياها من أسر التقليد إلى رحابة الحداثة، دون أن يفقدها بعدها الوجداني الأصيل.

وينطلق هذا البحث من دراسة العبارة الصوفية في شعر التجاني يوسف بشير، بوصفها أداة للكشف عن أعماق التجربة الروحية، ومحورا لفهم جدلية العلاقة بين الذات والعالم، وبين الظاهر والباطن. كما يسعى إلى إبراز تجليات الغربة الوجودية، والصوفية المرآوية[2]، والتجلي بالعبارة، بوصفها محطات أساسية في بناء تجربته الشعرية. وبذلك، يهدف البحث إلى تقديم قراءة نقدية تكشف أبعاد هذه التجربة، وتضيء خصوصيتها ضمن سياق الشعر العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: الصوفية، يوسف تجاني بشير، الأصوات الشعرية، السودان، العالم العربي الحديث.

[1] باحث قسم اللغة العربية، جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية، حيدرآباد

[2] يوسف بشير التيجاني.ديوان إشراقة.المطبعة ا لوطنية خرطوم ص 3

كان التجاني يوسف بشير، مركزا على البعد المأساوي في حياته وأثره العميق في تشكيل رؤيته الشعرية. فقد عاش التجاني حياة قاسية اتسمت بالفقر والتهميش والحرمان، فعاش في هوامش مدينة أم درمان[1]، يعمل في مهن شاقة لا تتناسب مع موهبته الشعرية، إلى أن انتهت حياته مبكرا. وقد رسخت هذه المعاناة صورته في الوجدان السوداني بوصفه شاعرا مأساويا نقيا، تحيط بمأساته عاطفة جماعية صادقة، رغم صعوبة شعره وكثافة لغته.

انعكست هذه الحياة الضنكيةعلى شعر التجاني، فجاء شعره محملا بأصداء الحزن والقلق الوجودي، ومعبرا عن اغتراب حاد عن العالم. غير أن هذا الاغتراب لم يتحول إلى انكسار سلبي، بل انصهر في تجربة شعرية مغايرة، صاغ فيها الشاعر لغة شفافة ومتماسكة، تقوم على رؤيا كشفية ذات نزوع صوفي. وقد بدت قصائده، في وحدتها العضوية، وكأنها نص واحد متصل، ينبع من نُسغ دلالي مركزي يتأمل الوجود والموت والإنسان.

ويعد التجاني من رواد التجديد في الشعر السوداني الحديث، إذ أسهم مبكرا في نقل القصيدة من الرتابة التقليدية إلى آفاق حداثية، دون أن يقطع صلته بالروح الوجدانية العميقة. وقد تركت تجربته أثرا واضحا في عدد من الشعراء العرب، من أبرزهم محمد الفيتوري وصلاح عبد الصبور، لا سيما فيما يتعلق بالرؤيا الصوفية والسعي إلى معانقة المطلق، كما تجلى ذلك في قصيدته الشهيرة الصوفي المعذب.

ويمثل التجاني حالة متفردة في الشعر العربي الحديث، تشبه في ملامحها تجربة أبي القاسم الشابي، إذ عاش تجربة وعي مبكرة وناضجة، جعلت من شعره مرآة صادقة لمعاناته الداخلية، وأداة لكشف الحقيقة الإنسانية. وهكذا غدا الشعر عنده فعل مقاومة للعتمة، ومحاولة لتجاوز واقع مأزوم، واستبطانا عميقا لتجربة روحية تبحث عن المعنى والصفاء في عالم مضطرب،

التجربة الشعرية الصوفية

[1] هزي رياض .التيجاني يوسف بشير شاعرا و ناثرا.دار الثقافة بيروت .ص19 --20

التجربة الشعرية الصوفية عند التجاني يوسف بشير[1]، مبرزا قدرته على تحويل الحدث المأساوي إلى طاقة داخلية مؤثرة تنعكس أولا في ذاته ثم في وجدان المتلقي. ويؤكد أن علاقة التجاني بالشعر لا تقتصر على الكتابة، بل تتجاوزها إلى جعل النص فعل كشف ورؤيا، حيث يغدو الشعر الصوفي مجالا للحضور المأمول لا للغياب.

كما يوضح أن شعر التجاني يقوم على الانزياح عن الواقع واللجوء إلى التصوف بوصفه وسيلة لاختراق أسرار الذات ومساءلة الوجود[2]، في صور شعرية مكثفة تنفتح على التأويل. وتتجلى في شعره ثنائية الوعي بالذات والوعي بالعالم، وصراع الشاعر مع زمن مأزوم وواقع زائف، ما يدفعه إلى البحث عن الحقيقة الغائبة والوجود المطلق.

أن العوالم الشعرية عند التجاني هي عوالم مواجهة وسؤال، تتأسس على الخطف والتيه والحنين إلى الطهر والبراءة، حيث يتماهى الشعر بالروح، ويتحول إلى بديل خلاق عن عالم مشوش، محمل ببعد فلسفي ورؤيوي يعكس عمق التجربة الوجودية والصوفية للشاعر.

قلق الغربة عند التجاني يوسف بشير

قلق الغربة ظاهرة بوصفها محورا أساسيا في تجربة التجاني يوسف بشير الشعرية، حيث تشكلت هذه الغربة من تداخل عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية. فقد عانى الشاعر الفقر والحرمان، والإقصاء الثقافي، والظلم الاجتماعي، إضافة إلى إحساسه بالاغتراب داخل وطنه، ما ولد في داخله غربة نفسية عميقة سبقت غربته الاجتماعية.

وتتجلى هذه الغربة بوضوح في قصيدة **دنيا الفقير**[3]، التي تصوّر بؤس الإنسان المسحوق، وانكساره الداخلي، وتوقه المكبوت إلى الجمال والكرامة، في مقابل واقع قاسٍ يسوده الحرمان والخيبة. وقد لازمت هذه المعاناة الشاعر حتى أصبحت جزءًا من كيانه النفسي، فعمّقته الكآبة، وتكاثفت لديه مشاعر اليأس والقلق والتيه[4].

---

[1] عبد القادر فيدوح. العبارة الصوفية في شعر التيجاني. قطر، ص3-4
[2] هزي رياض. التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا. دار الثقافة بيروت ص72
[3] يوسف بشير التيجاني. ديوان إشراقة. المطبعة ا لوطنية خرطوم ص58
[4] هزي رياض. التيجاني يوسف بشير شاعرا و ناثرا. دار الثقافة بيروت ص37

غير أن التجاني لم يستسلم تمامًا لهذه السوداوية، بل سعى إلى تحويل اليأس إلى معنى عبر الرحلة الصوفية، فاستبدل المعاناة المادية بالمجاهدة الروحية، واتجه نحو التوحد بالمطلق بحثًا عن السكينة والاطمئنان. ومن هنا، اتخذ التصوف ملاذا وجوديا لتعويض غربة الواقع، والارتقاء نحو عالم الصفاء والحقيقة.

ويخلص النص إلى أن غربة التجاني ليست حالة عابرة، بل هي غربة وجودية تعكس شعور الإنسان الحديث بالانفصال عن العالم، وتكشف وعيا حادا بعدوانية الزمان وقسوة الكون، ما دفع الشاعر إلى الاحتماء بعالم الروح بوصفه المركز الثابت والأبدي الذي يمنح الوجود معناه.

الصوفية المرآوية عند التجاني يوسف بشير

مفهوم **الصوفية المرآوية** في شعر التجاني يوسف بشير، حيث يغدو الشعر مرآةتكشف باطن الشاعر عبر ظاهر عباراته، في صراع دائم بين وعي الواقع ووعي الكشف. فالتجربة الصوفية عنده ليست هروبا لغويا، بل تجاوزٌ للواقع المأزوم وسعي إلى التسامي عليه عبر لغة إشراقية تقوم على الحدس والإشارة لا على العبارة المباشرة.

ويبين النص أن التجاني يستمد لغته الصوفية من معاناته الحياتية المعقدة، ليحولها إلى خطاب شعري يتأسس على الشطح وانزياح الدلالة، حيث تنفصل الألفاظ عن معانيها المتداولة لتكتسب دلالات روحية جديدة. وبهذا ينتقل الخطاب من الوصف إلى الإشارة، ومن المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن، وفق منطق التجربة الصوفية التي ترى أن العبارة تُخفي ما تكشفه الإشارة.

وتتجلى هذه الصوفية بوضوح في قصيدة **الصوفي المعذب**[1]، التي تقوم على رؤيا كونية قوامها الاتحاد والتجلي، حيث يثبت الشاعر حضور ذات الحق في ذات الخلق، وتتحول الطبيعة إلى وسيط إشراقي للكشف الروحي. ويستند هذا التصور إلى فكرة الكمال المطلق للحق، مقابل نقص الإنسان، مع بقاء الخلق مرآة لانعكاس الذات العلية.

[1] يوسف بشير التيجاني.ديوان إشراقة.المطبعة ا لوطنية خرطوم ص7

كما يبرز أن لغة التجاني الصوفية مشبعة بقيم الصفاء والخلوص والفناء، حيث يصبح الموت رجاءا، لا فناءا، لأنه بوابة العبور إلى الصفاء الأعلى وصفاء الصفاء. وفي هذا الأفق، تتحول مفردات مثل: النور، الماء، الصفاء، التجلي، إلى رموز للاتحاد بالمطلق، والتطهر من كدر الواقع، والارتواء من حقيقة الوجود.

أن الصوفية المرآوية عند التجاني تمثل ذروة تجربته الشعرية والوجودية، إذ تتداخل الرؤيا الصوفية مع الحس الجمالي والبعدالفلسفي، ليغدو الشعر وسيلة للكشف، ومرآة لانعكاس الحقيقة، وطريقا للفناء في نور الحق والاتصال بعالم الصفاء المطلق.

التجلي بالعبارة عند التجاني يوسف بشير

مفهوم **التجلي بالعبارة** بوصفه ذروة التجربة الصوفية في شعر التجاني يوسف بشير، حيث تصبح العبارة وسيلة كشف باطني، تنتقل فيها الحقيقة من حال البطون إلى حال الظهور عبر الحدس وعين القلب[1]. فالتجلي عنده يقوم على علاقة جدلية بين الحق والخلق، تنعكس فيها صفات الكمال الإلهي في مظاهر الكون والإنسان.

أن العبارة الصوفية عند التجاني لا تفهم بوصفها قولا لغويا مباشرا، بل بوصفها فعلا رؤيويا ينسق بين الظهور والكمون، ويحقق انسجاما داخليا بين الذات والكون. ومن هنا تتجاوز اللغة وظيفتها الاصطلاحية لتغدو لغة كشف وإشراق، مشبعة بالبيان والبرهان والعرفان، وقادرة على استبطان عوالم الملك والملكوت والجبروت[2].

وتبرز هذه الرؤية بوضوح في قصائد مثل **الصوفي المعذب**و**نفسي والله**[3]، حيث تتجلى العبارة بوصفها مرآة للتوحيد، واتحاد الإنسان بالعالم، وذوبان الذات في نور الحق. وتقوم الصور الشعرية على

[1]هزي رياض. التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا. دار الثقافة بيروت ص 19 -20

[2]الدكتور محمد عبد الحي: الآثار النثرية الكاملة، ليوسف بشير التيجاني- مكتبة هبار الكتب الإلكترونية- السودان. ص170-180.

[3]يوسف بشير التيجاني. ديوان إشراقة. المطبعة ا لوطنية خرطوم ص 4

الحدس القلبي، والتفاعل مع الطبيعة، والانتقال بين المرئي واللامرئي، في مسعى دائم نحو اليقين والكشف.

كما يبين أن التجاني يجعل من الصفاء والتوحد والفناء مسالك أساسية في بناء عبارته الصوفية، بحيث تتحول النفس إلى إشراقة كونية، وتتجسد في صور الماء والنور والندى والتحول المستمر. وبذلك تصبح العبارة عنده أداة للعبور بين المعلوم والمجهول، وبين الظاهر والباطن، فيما يشبه**البرزخ الصوفي**، وصولا إلى التجلي الأعلى حيث يلتقي الإنسان الأصغر بالإنسان الأكبر.

أن التجلي بالعبارة يمثل اكتمال التجربة الصوفية عند التجاني يوسف بشير، إذ تتوحد الرؤيا الشعرية مع الرؤيا الوجودية، وتغدو اللغة نفسها مقاما من مقامات الكشف، ووسيلة للاتصال بالحقيقة المطلقة.

في الختام

وفي ختام هذا البحث، يتبين أن تجربة التجاني يوسف بشير تمثل نموذجا شعريا متفردا في الأدب العربي الحديث، حيث تداخلت المعاناة الشخصية مع الرؤيا الصوفية لتنتج خطابا شعريا عميقا ومفتوحا على أبعاد إنسانية وفلسفية واسعة. فقد استطاع الشاعر أن يحول قسوة الواقع إلى طاقة إبداعية، وأن يجعل من الشعر وسيلة للكشف والتأمل، لا مجرد أداة للتعبير.

كما كشفت الدراسة أن العبارة الصوفية عند التجاني ليست بناءا لغويا تقليديا، بل هي فعل رؤيوي يتجاوز حدود المباشر إلى فضاء الإشارة والرمز، حيث تتجلى العلاقة بين الظاهر والباطن، وبين الإنسان والمطلق. ومن خلال ذلك، برزت مفاهيم الغربة الوجودية، والصوفية المرآوية، والتجلي بالعبارة، بوصفها مرتكزات أساسية في تشكيل تجربته الشعرية.

وقد أكد البحث أن التجاني لم يكن شاعر معاناة فحسب، بل كان شاعر وعي مبكر، استطاع أن يستشرف أفقا حداثيا في الشعر، وأن يقدم تجربة روحية وجمالية أثرت في مسار الشعر السوداني والعربي على حد سواء. وبذلك، يظل شعره شاهدا على قدرة الإنسان على تجاوز واقعه المأزوم، والبحث عن الحقيقة والصفاء عبر دروب الفن والروح.

وعليه، فإن دراسة شعر التجاني تفتح آفاقا واسعة لمزيد من البحث في العلاقة بين الشعر والتصوف، وبين التجربة الفردية والهم الإنساني العام، بما يعزز فهمنا لطبيعة الإبداع الشعري في سياقاته الوجودية والثقافية.

المصادر والمراجع

أحمد محمد البدوي :التجاني يوسف بشير: لوحة وإطار .المطبعة الفنية، الخرطوم، 1980.

بدرالدين يوسف السيميت :التجاني وترا من النأي المقدس ومن بقاياالمرسلين.

عبد المجيد عابدين :التجاني شاعرالجمال .الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1962.

محمد عبد الحي: الآثار النثرية الكاملة ليوسف بشير التجاني، مكتبة هبار للكتب الإلكترونية، السودان.

محمد محمد علي :محاولات في النقد .مطبعة الثقافة والإعلام، الخرطوم، 1958.

هنري رياض :التجاني شاعرا وناثرا، دار الثقافة، بيروت.

محمد فهمي: روائع شعراء الجيل.

مقالات وأبحاث منشورة إلكترونيًا (أرشيف الإنترنت)

الحنصيف الحجية :التجاني يوسف بشير السوداني، نسخة محفوظة ٢١ أبريل ٢٠١٧ على موقع وايبا كميشن.

أحمدالتجاني—الشيخ أحمدالتجاني—سيدي أحمدالتيجاني—خاتم الأولياءالقطب المكتوم . نسخةمحفوظة 10 ديسمبر 2017 على موقع وايبا كميشن.

شعراء الفصحى في العصر الحديث، السودان، ديوان التجاني يوسف بشير .نسخةمحفوظة 2 يناير 2020 على موقع وايباكميشن.

التيجاني يوسف بشير.. إشراقة حياة .نسخةمحفوظة 28 يونيو 2017 على موقع وايباكمشين.

وصلات إلكترونية ومقالات صحفية

التجاني يوسف بشيرفي مئوية مولده—1912) (2012، أحمدعكاشة أحمد فضل الله،

موقع التحالف:

http://www.tahalof.org/cgi-bin/pages/page3.pl?arlang=Arabic&arcode=121007222230&argenkat=Articles نسخة محفوظة 28 مارس 2017

مقال في موقع المجمع الدولي للغة العربية، نسخة محفوظة 29 مارس 2017 https://web.archive.org/web/20170329045852/http://www.aabiclanguageic.org/view_page.php?id=43.

في مئوية التجاني يوسف بشير: اليقين والصوفية في شعرالتجاني يوسف بشير .موقع سودارس (نسخةمحفوظة 4 مايو 2013).

معجم البابطين للشعراءالعرب المعاصرين مدخل عن التجاني يوسف بشير، نسخة محفوظة 4 نوفمبر 2013.